ملحمة شعرية

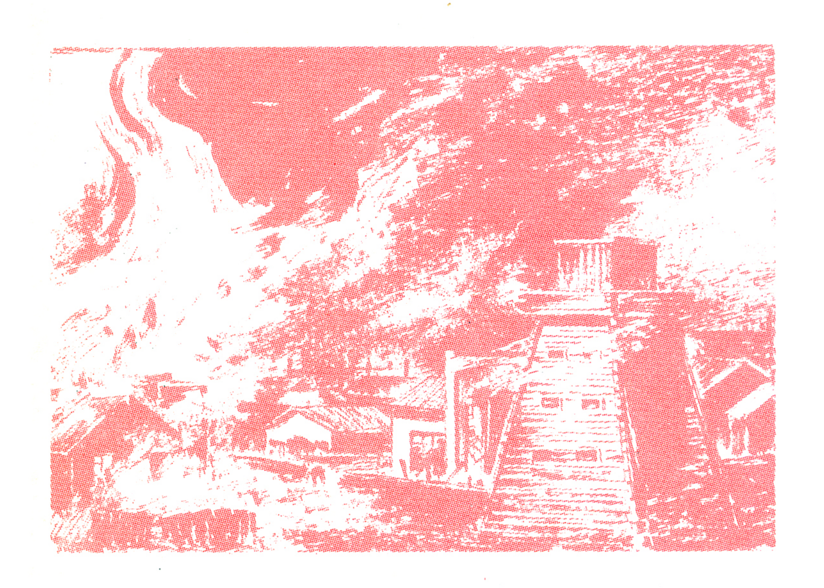


جبل بايكدو

ملحمة شعرية

جبل بايكدو

تأليف الشعر: زو غي تشون



دار النشر باللغات الاجنبية
بيونغ يانغ . كوريا
١٩٩٠

نبذة عن الشاعر

ولد الشاعر زو غي تشون لأسرة فلاحية فقيرة في قرية وونسان بقضاء هوايريونغ بمحافظة هامكيونغ الشمالية في ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩١٣.

ذهب إلى الاتحاد السوفييتي مع والديه اللذين هاجرا إليه بحثا عن لقمة العيش بعدما ضاقت سبل الرزق في وجوههم من جراء استغلال واضطهاد الإمبرياليين اليابانيين الذين احتلوا كوريا، وقضى فيه أيام طفولته. انتسب إلى جامعة أومسك للمعلمين، وبعد تخرجه منها عمل مدرسا في جامعة كوريو للمعلمين الواقعة في قزل – أوده بآسيا الوسطى لمدة سنتين تقريبا. ومنذ ذلك الحين، بدأ نشاطه الإبداعي.

ما إن تحررت كوريا في ١٥ آب/ أغسطس عام ١٩٤٥ حتى عاد على جناح السرعة إلى وطنه. فعمل، بادئ ذي بدء، صحفيا في صحيفة " زوسون سينمون" التي كانت تصدر آنذاك، ثم عين نائبا لرئيس اللجنة المركزية للاتحاد العام الكوري للأدب والفن في شهر آذار/ مارس عام ١٩٥١. وفي تلك الفترة، نظم العديد من الأشعار. العمل البارز من بينها هو الملحمة الشعرية بعنوان "جبل بايكدو" التي ألفها في شباط / فبراير عام ١٩٤٧. تصور هذه الملحمة تصويرا شعريا فذا معركة بوتشونبو، إحدى أهم وأسطع الحوادث في التاريخ الثوري للزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ.

كما نظم، علاوة على ذلك، العديد من القصائد الشعرية، تذكر منها: "أغنية الحياة" و"كوريا تقاتل"، الأولى تحكي عن نضال الشعب من أجل بناء الوطن الجديد في فترة ما بعد التحرير، والثانية عن نضال أبناء الشعب وجنود الجيش الشعبي إبان حرب التحرير الوطنية ضد الغزاة الإمبرياليين الأمريكيين.

استشهد الشاعر في بيونغ يانغ في ٣١ تموز/ يوليو عام ١٩٥١ من جراء القصف الجوي للإمبرياليين الأمريكيين، قبل أن يكمل وضع مطولته الشعرية الموسومة "زمر قنص الطائرات" فيما هو يرابط مع جنود الجيش الشعبي أثناء حرب التحرير الوطنية.

الاستهلال

أصدقائي وأخوتي! يا معشر الثلاثين مليونا!
علي اليوم أن أتكلم!
بودي لو أن أمواج بحيرة السماوات
التي ترتفع بغتة إلى الأعالي،
كنمور بيضاء،
وتبلغ غيوم السماء،
تغمر قلبي بماء بارد:
قلبي الذي جففته ريح دامية
تعصف في كوريا منذ آلاف السنين.
بودي أن أتخذ من صخرة مؤشنة منذ آلاف السنين،
محبرة لي...
وأتناول ريشتي الندية،
هي حربتي،
هي سلاحي،
أنا الشاعر الغر، المغمور،
لأتكلم ولا بد أن أتكلم في أيام الحرية.

انغرزت جلاميد الصخور في السماء،
انحدارها مروع لا تطاله العين.
وبحيرة السماوات التي كانت تنزل عليها
الحوريات على متن قوس قزح،
لا يستطيع حتى ضباب الصباح
تسلق ذراها العارية.
ولكننا الآن نقود سفينة الذكريات،
ضد تيار الزمن،
إلى تلك السنين الرهيبة، المضنية،
عندما صعد مغاورونا
إلى هنا، إلى هذه الصخور،
حيث أضرموا نار الثأر على الذرى الشائبة
وأوقدوا شعلة النضال التحرري.

والآن جلب المغاورون العادلون المناهضون لليابان
فجر التحرير إلى كوريا التي كان مصيرها في كفة الميزان.
على جادة حفلت بالانتصارات
خاضوا مياه نهر دومان(١)،
واجتازوا سلاسل جبل بايكدو،

---

(١) دومان ـ نهر عند ملتقى ثلاث دول ـ كوريا والصين والاتحاد السوفييتي.

واتجهوا رأسا إلى كوريا الديمقراطية،
حيث كل واد بين الجبال
ما زال يتحفظ بآثار معارك لم يطوها الزمن.
وأنا – مواطن كوريا الحرة –
بحرية أصعد إلى القمة،
ومن هناك، أرى أرض الوطن
الممتدة ثلاثة آلاف ري(١)
مثلما أرى راحة يدي.

يا أرض أجدادي العريقة !
يا شرايينها المتدفقة بدماء
بلدنا الحبيب،
أكثر من خمسة آلاف سنة، ـ نحن نذكر،
عندما قطعها اليابانيون بالسكين،
كم كانت كل نثرة من شرايينها المقطعة تقطر دماء حاقدة.
وعندما وضع مصير كوريا على خشبة الموت
كم من آلاف المناضلين
مضوا تحت جنح الظلام إلى أدغال بايكدو القصية.
من تراهم اشتاقوا حتى إلى النوم على الأوراق الساقطة،
وعبروا أرض الموت

---

(١) ١٠ ريات تعادل ٤ كم تقريبا.

كأنها عتبة بيت الأهل؟

يا بايكدو المجلل بالشيب! يا جبل الأجداد! قل، من
في أرضنا المتحررة
يناضل من أجل سعادة الشعب؟
ومن يقود الشعب إلى النضال؟

"د.... دج!"
على صخرة، ظهر نمر.
إنه نمر بايكدو الأسطوري.
مد قائمته الجبارة إلى الأمام
وشخص بأبصاره إلى الجنوب.
لزئيره تتزلزل الشعاب،
إذ يهدد عدوه بالانتقام.
مرت لحظة خاطفة، وكالريح،
قفز النمر مندفعا واختفى مع صفير الريح.
ولا شيء سوى الريح تتلاعب بين الصخور.
وإذ أتمالك نفسي من الإعجاب،
أصغي وكلي انتباه إلى صفير الريح،
يبدو لي أنني أسمع من جديد
الزئير المتوعد الذي يرج الأرض.

صخرة، صخرة!
لا أدري ما تلك الصخرة!
ربما هنا
حطم مغاورونا الأعداء شر تحطيم،
وأقسموا يمين الغضب،
كخناجر ماضية.
ربما هنا،
على هذه الصخرة المجهولة
رفع المقاتلون البواسل
راية التحرر.

أيتها الصخرة المجهولة على سلسلة
تشانغباي العريقة!
يا من تلاحمت جذورها الأزلية وجذور قلبي!
أقتفي آثار المعارك الماضية
وأستجمع شتات أفكاري،
لهفة لاهفة إلى بطل بايكدو
الذي قاتل هنا في سبيل الوطن.
لكني، يا مواطني ويا أخوتي الثلاثين مليونا!
أود أن أتحدث إليكم بروح فياضة وقلب صريح،
وبصوت – حتى وإن كان خافتا ومرتعشا –
دعوني أحدثكم عن مآثر بطل بايكدو.

الفصل الأول

١

صخور...صخور... صخور،
صخور لا عد لها، ولا حد.
وإذا اجتزت واد في الطريق،
ظهر أمامك آخر.
وما إن تعبر طريقا جبلية
حتى ترى فوق رأسك عاليا
الأغصان الملتفة للبلوط المعمر
وقد تشابكت بأغصان اللاركس.
يتباطأ الوادي، صاعدا إلى الجبل.
ومن جديد ينحدر موهنا
كإنسان أنهكه العمل.
وفي الأقاصي، الغابات الكثيفة
على امتداد مئات الريات،
الجبال المغطاة بالثلوج المترامية على امتداد مئات الريات،
يخشى الوحش النظر إليها
ولا يعرج الطير عليها،

فهناك وادي هونغسان القصي،
عرين سلسلة تشانغباي الموحشة.

هنا كدست العاصفة المزمجرة الثلج أكواما،
لكنك تستطيع أن تميز بين جلاميد الصخور
المغطاة بالثلج،
أثرا وحيدا واضحا
يفضي إلى مكان ما ... شمالا.
من مر هنا؟
ربما صياد تائه،
أسلم مصيره لعربدة الطبيعة.
ولكن لماذا يسلك الطريق شمالا،
إلى حيث يقذف جبل بايكدو وعزته البيضاء ترفرف
بأكوام الثلج إلى تحت
وهو يئن تحت وطأة الصقيع؟

٢

أنظر جيدا إلى هذا الأثر على الثلج:
الإنسان الذاهل لا يسير هكذا.
البارحة مر الناس هنا،
مسلحين، وعليهم أردية بيضاء.

كانوا مئات،
ومع ذلك
فقد مضوا شمالا على الثلج السميك،
تاركين وراءهم أثرا واحدا.
والآن – أنظر – اليابانيون يمرون،
غائصين في الثلج حتى الخاصرة
لإضرام نار "التأديب" في الغابات.
تتراكض الكلاب أمام الفصيل،
تلمع حراب البنادق
وتومض نظارات الضباط.
– هنا أثر لإنسان واحد فقط، –
تقول النظارات، - فأين اختفى
بقية الشياطين؟..
تتلفت النظارات بين جلاميد الصخور.
يثرثر المقدم: "ظهروا واختفوا كالأشباح...
"طراخ..." وتدوي طلقة قبل أن ينهي كلامه.
وسقطت النظارات قبل أن تتمكن من إلقاء نظرة
على الجهة التي دوت منها الطلقة.

٣

وفجأة ملأت لعلعة الرشاشات وانفجارات القنابل

اليدوية وطلقات البنادق وعطعطة العدو
وادي هونغسان البارد كالجليد،
معكرة صفو الهدوء،
ورددها الصدى ثلاثا.
وإذا بهتافات التعييش "مرحى، مرحى!"
ترج الأرض والسماء.
ومن بين الصخور نزلت الأردية البيضاء،
كالحجارة، كالرياح،
على رؤوس اليابانيين.
ودوت هنا وهناك صيحات الهجوم،
صليل معركة بالسلاح الأبيض.
وتلألأت الحراب كالبرق الأزرق،
عاكسة ألق الثلج المبهر.
– "يا رفاق!
لا تدعوا يابانيا واحدا
يفلت من أيدينا اليوم حيا!"
كان هذا أول أمر يصدر في المعركة الحاسمة
كصوت انفجار.

٤

هكذا صاح قائد المغاورين.

يصعد الفتى إلى أعلى صخرة
ورداؤه يصطفق كأجنحة بيضاء
تهم بالتحليق إلى السماء،
صدره، ذراعه وساقه، كلها تتسابق أمامه إلى الهجوم
ونظرته تخترق، كسكين حاد، ميدان المعركة.

– " يا رفاق!
لا تدعوا يابانيا واحدا
يفلت من أيدينا اليوم حيا!"
هكذا صاح قائدهم،
ولمع "الماوزر" المصقول في يده اليمنى.
ووقع يابانيان بقيا يحاولان القتال،
مطلقين نيران بندقيتيهما
على الثلج كأنما حصدا بمنجل.
"لا تدعوا يابانيا واحدا
يفلت من أيدينا اليوم حيا!"
صاح قائدهم مرة أخرى.

من يكون هذا الفتى؟
إنه القائد كيم، قائد المغاورين الكوريين،
الذي يرتعد لاسمه اليابانيون،
ممتقعين في خوف مميت.
منذ زمن بعيد وأقاويل بين الناس تتردد

بأن القائد كيم إيل سونغ سيد الجبال
وإنها تخضع له في كل شيء؛
وإنه يستطيع، إن أراد،
أن يضم ذرى بايكدو إلى بعضها،
وإن أراد، يعود ويفصلها ثانية.
وإنه يستطيع، كطائر جبلي،
التحليق من قمة إلى أخرى.

اشتعل نجم في الشمال
وأضاء بنوره الوهاج
ضفاف نهر آمروك المنصبة.
وسرت أسطورة بين الشعب
إنه ظهر بعيدا، في جبال بايكدو،
عملاق جبار مرسل من السماء...
القائد كيم، قائد المغاورين الكوريين،
مع كوكبة من المقاتلين البواسل.

٥

وانتهت المعركة الحامية الوطيس.
والمغاورون، سادة الغابات،
يجمعون أسلحة العدو التي غنموها بلا عجل.

اليوم، كم من اليابانيين سقطوا صرعى
بخناجر الانتقام؟
وكم قتل منهم أثناء الهروب،
ناسين الميكادو(١)،
ناسين
سمعة "الساموراي" المزعومة؟

– كلا، لم يفلت أحد منا –
يقول المغاور تشول هو.
"هذه المرة أيضا جاءوا وسلمونا أسلحتهم،"
يجيب القائد كيم بضحكة عريضة،
وضحكته كزهرة الفاونيا
تنثر بتلاتها على الثلج.

٦

ليل ذلك اليوم، استمر الثلج يتساقط
ويبيض كل شيء في العالم:
الصخور والسماء والأرض
وساحة المعركة في وادي هونغسان.

---

(١) الميكادو - الإمبراطور الياباني (باليابانية).

أشجار اللاركس مثقلة بكسفات الثلج
لكأنها أشجار تفاح مزهرة.

الخيام متناثرة تحت اللاركس.
ومن النار المتأججة يعبق دخان عذب الرائحة.
وغط المغاورون في سبات لذيذ.
ولكن في خيمة واحدة فقط، خيمة القائد كيم،
لم ينطفئ المصباح حتى الفجر.
ومن هناك، من خيمة القائد كيم،
انطلق تشول هو في سفر طويل
مع أول خيوط الفجر في الشرق البعيد.
ومع أن العاصفة كانت تعربد بلا انقطاع،
ومع أن الأرض من شدة الزمهرير
كانت صلبة كالسنديان،
إلا أن قلب المغاور تشول هو كان جمرة نار،
فهو يتذكر مصافحة
القائد كيم وكلماته الأخيرة له:
"أدر بالك إلى نفسك يا صديقي الحميم تشول هو!"

٧

تهب العاصفة الثلجية

طورا تهيم في الوديان
وبين الجبال، في الأدغال والشعاب
كأنما تبحث عن أحد هناك ولا تجده،
فتولول نادبة حظها؛
وطورا كزمجر من الغيظ كوحش مفترس.
ترتطم على جدران الصخور المنتصبة،
وهي إذ تقطع سلاسل الجبال،
تندفع بضراوة نحو الجنوب الشرقي،
إلى حيث الجليد يغطي نهر آمروك.

أيتها العاصفة، أيتها العاصفة!
تعلمين جيدا أن المغاور تشول هو
يسير معك، متنقلا بين الصخور،
لكي يطأ أرض وطنه
ما وراء آمروك العظيم.

أيتها العاصفة، أيتها العاصفة!
أنت من تشانغباي أيضا،
وعليك أن تساعدي المغاور
تشول هو يجتاز الطريق الوعر،
إلى الجنوب الشرقي، إلى سونغزين وهامهونغ،
وإلى مدينة حدودية أيضا
واقعة على الطريق.

أيتها العاصفة، أيتها العاصفة!
يا صديقة المغاور!
اعصفي بشدة وغطي بثلجك تشول هو،
خبئيه عن عيون اليابانيين المتوحشة،
ليستطيع عبور آمروك،
إلى أرض وطنه المقدس!

الفصل الثاني

١

فوق القرية الجبلية سديم،
يتلمس ممرات الطريق
بلا نأمة،
مرافقا الشفق؛
يغطي التلال الغارقة في الغسق
يزحف كقطيع من النعاج
ويمسح برفق على صخور قمة سابال،
ثم يختبئ في غابة الصنوبر،
كأنه على أهبة الوسن.
وأخيرا، يهبط إلى القرية،
هو الذي بدأ مع جبل بايكدو الطريق

٢

- حل الظلام، -

تقول كوت بون.
طيلة المساء وهي تجمع جذور
عشبة "تشيك".
كان عليها أن تجمعها
لأنه...
لا يوجد إلا الماء في قدرها فوق الموقد.
وفي الخابية، حيث يحفظ الرز
حاك العنكبوت خيوطه من وقت بعيد.
ينعقد الظلام...
ها هو مصيرك،
يا كوت بون:
أن تهيمي وتجمعي الجذور هنا،
لكي تغليها للفطور والغداء
... وللعشاء.
غطى الظلام الأرض،
وهجعت الطيور في أعشاشها.
القرية غافية في الضباب الحليبي
ولم تمتلئ السلة بعد.

٣

يا جذور التشيك!

هناك في أرض الوطن،
تتفتح الزهور وترفرف الفراشات.
فلماذا يهيم النساء والأطفال
بأرجل منتفخة من الجوع
ويجمعون العشب المر إذن؟
وفي المحطات وموانئ البحار –
يتكدس الرز جبالا،
وعيونهم شاخصة إلى مضيق كوريا.
من ينقل هذا الرز إلى ما وراء الحدود؟
من يأكله؟
يا جذور التشيك المرة!
كم أنت مرتبطة الآن بمصير الشعب!

٤

فوق الغابة يحلق غراب أسود،
ينعق ناظرا إلى كوت بون.
ويتدفق الظلام، منعقدا فوق الممرات،
وفي روح كوت بون ظلام ورعب.
وفجأة من جوف الغابة الظلماء
ظهر شبح وسد الدرب.
"من هذا؟!

شبح أم إنسان؟"

٥

– كيف لنا أن نجد كيم يون تشيل، يا فتاة؟
الكلمات تسقط على القلب كالحجر.
بسرعة رمقته الفتاة،
فيما وجه الشاب الملوح
يقترب من وجهها.

– أعرفه طبعا: إنه أبي.
وتفرست في وجهه بعجب ودهشة.
– إذن أنت كوت بون! –
وإذا بعينيها تلتمعان.
"ياه! يا لحظي السعيد!"
صاح الرجل والتفت بسرعة نحو الغابة.
فانطلقت عندئذ صيحة طائر – "بوكوك!"
في هدأة الليل الساكن.
"بوكوك"
"بوكوك"
أجابته الغابة،
وانشق الظلام عن قامتين.

٦

في الغابة يجلس أربعة أشخاص،
أحدهم تشول هو.
تحت الأمطار،
عبر الصقيع والعواصف
اجتاز المقاتل الجبار
الطريق الطويل.
أين جال المسافر الوحيد؟
لماذا أتى إلى هنا، إلى غابة الصنوبر؟

حينما مهدت أشعة الشمس الحانية
الثلج على منحدرات الجبال،
وغطى العشب التلال الداكنة المتجمدة
كما في حلم أخضر،
وتألق الربيع في أغصان شجيرات أضاليا،
أية جبال اجتاز تشول هو؟
وأية ليال أخفت عابر الطريق؟
لا تسأل...

الثاني – رفيقه

عامل من هامهونغ تجاوز سن الشباب،
ينطلق بالأدوية إلى وادي هونغسان.
هناك، في هونغسان، مشفى
حيث المرضى والأطباء
ينادي بعضهم بعضا: "يا رفيق!"
والشخص الثالث – مراسل تشول هو –
اسمه يونغ نام.
منذ وقت قريب فقط
بلغ السادسة عشرة.
وهو اليوم يمضي إلى المدينة.
وبمرح يضحك ويغني
عن الطريق الطويل،
عن "منحدرات آريرانغ".

٧

"أدعى باك تشول هو،"
هكذا بادرها بالقول.
ورغم انعقاد الظلام،
كأنما شمس التمعت
وأضاءت خدي كوت بون
التي لم تنزع عيناها لحظة عن تشول هو.

"آه، الرفيق تشول هو!"
هتفت بصوت خافت.
لم يسبق لها أن رأت وجهه،
ولكنه هو من كان يوجه عملها من بعيد،
وهي تطبع المنشورات
وتخيط الملابس للمغاورين
وترسلها إلى وادي هونغسان.
في مخيلة الفتاة،
كان تشول هو انسانا كهلا.
واليوم ها هو يقف أمامها هنا
فتى فارع القوام، طلق المحيا،
متقد النظرات.
"لعله في الخامسة والعشرين، لا أكثر ..."
قالت كوت بون لنفسها.

– "وأين المطبعة الآن يا كوت بون؟"
تشول هو يسألها.
– "لا تقلق"–
تجيبه.
"إنها مخبأة عند النبع، تحت الحجر.
سآتيك بها عند حلول الظلام".

القرية هاجعة في النوم.

هدوء وسكينة.
أبواب مخفر البوليس
نصف مفتوحة، وكأنهم الآن أيضا
يراقبون القرية الجبلية.
الجبال مجلببة بستائر الظلمة.

وها هم الأصدقاء في الغابة يتوادعون،
"وداعا إذن ...."
ويشد بعضهم على أيدي بعض صامتين.
ومع الأكف القوية،
تتلامس القلوب.
تصافح الأصدقاء المقاتلين
أشبه ما يكون بقسم على النضال.
ما أن شدت الأيدي على الأيدي قبل المعركة
حتى اندفع الرفاق إلى النار والدخان.
تصافح المغاورون،
ثم مضوا بهدوء إلى الزنزانات اليابانية،
إلى المشانق من دون أن يهتز لهم جفن.

تصافح المقاتلين – الأصدقاء
نقي كابتسامة طفل،
راسخ كحب الأم،
وحار كالشمس فوق خط الاستواء

الفصل الثالث

١

منذ قديم الأزل،
وفي دغل صنوبر على جبل بايكدو ينتصب كوخ...
مأوى للصيادين.
وكان الشعب يسمى سولغايغول، أي شعب النسور.
ولم يكن مصادفة أن تختار النسور هذه الأجمة،
لكنها غابت الآن بلا أثر،
وليس على القمة الجرداء سوى غراب وحيد
يردد الصدى نعيقه الحزين في الجبال.
في يوم مضى،
كان الكوريون الذين يمارسون الصيد
يعيشون هنا،
يتحلقون حول النار في الأماسي.
لينظفوا سلاحهم،
ويتسامروا حول شؤون الحياة.
لكن كتب عليهم الآن أن يسلموا البوليس الياباني
بنادق الأجداد الصدئة،

وأن يصبحوا فلاحين في الأراضي الجدباء...
يحرقون الغابات
ويستأصلون الجذور
ويبذرون الدخن، والكاوليانغ.

٢

في شعب سولغي، المنعزل عن العالم تماما،
استقر كيم يون تشيل المسن.
بعد انتفاضة الأول من آذار/ مارس(١)،
حينما عذب اليابانيون زوجته،
وألوفا مؤلفة من المنتفضين الكوريين
ذهب إلى الصين، إلى ما وراء نهر دومان.
خبأ بندقيته القديمة
في جذع مجوف لصنوبرة معمرة،
وانطلق يتسكع بحثا عن عمل.
وأخيرا، عاد مع ابنته
وأخذ يعمل في الأرض مثل الجميع،
دافنا الحقد والرجاء كليهما في التراب
إلى الأبد.

---

(١) يقصد الانتفاضة الشعبية في ١ آذار/ مارس عام ١٩١٩

ولكن منذ نحو سنة خلت
عادت إليه التوقعات من جديد:
في ذلك الحين وصلت إليه في القرية النائية
أقاويل أناس يؤكدون
أنه في قلب جبل بايكدو، في الصميم،
يتوارى كهف كبير،
حيث تشع الشمس ويضيء القمر وتتألق النجوم،
وحيث آلاف الصناديد الكوريين
يشحذون سيوفهم على الصخر
وينتظرون الأمر بالانطلاق إلى المعركة.
وفي الساعة المهيبة،
حين يتلقون الأمر
ينفتح الباب الصخري،
وعندما ينفتح الباب الصخري،
يتدفق سيل المقاتلين الصناديد؛
وعندما يتدفق سيل المقاتلين الصناديد
تدور رحى معركة ضارية
لتكنيس اليابانيين من على وجه البسيطة.

ومنذ ذلك الحين وكوت بون تنفذ مهمات تشول هو،
ومنذ ذلك الحين صارت، إذ تنظر إلى جبل بايكدو،
تطمئن نفسها التي أثقلها الهم وأضناها الأسى،
وكأن سيلا ربيعيا دافقا غسل روحها.

٣

جبل بايكدو!
يا شاهد العصور!
حوافر جياد جنكيزخان خلفت على صدرك جراحا،
واليابانيون، الذين قادهم هيديوسي[١]،
أعملوا في جسدك طعنا
بسيوف تقطر دما.
وانتهى بالخزي والعار
حكم سلالة لي بعدما دام خمسة قرون.
ومنذ ذلك الحين لم يعد المبعوثون الكوريون
يطيقون صبرا على الذل،
فنزحوا إلى ما وراء نهر آمروك، تاركين وراءهم ديارهم.
لكن الشعب فقط رفع مشعل الحرية،
وتابع المسير وراء الحراب
التي رفعها هونغ كيونغ راي[٢]
وأبطال حرب كابو[٣].

---

(١) هيديوسي - قائد القوات اليابانية في القرن السادس عشر.
(٢) هونغ كيونغ راي - قائد جيش العدالة
(٣) حرب كابو الفلاحية في عام ١٨٩٤

أرض الوطن،
التي حنا عليها الكوريون خمسة آلاف سنة،
مزقتها أنياب الأفعى اليابانية السامة.
حتى أنت يا جبل بايكدو،
نكست رأسك عاجزا في عياء.
ولكن شعبنا أشعل نار النضال،
واستل الكوريون السيوف،
وأخذت تظهر في كل مكان فصائل
المناضلين الشجعان، الأباة.
وفي الأول من آذار/ مارس بدأت الانتفاضة في كوريا،
انتفضت المصانع، وسمع في كل أرجاء البلاد صراخ
المزارعين الجياع.
وحتى مياه سونغاري التمعت لكثرة ما غصت بالدموع،
وانهار سور الصين العظيم
تحت سنابك الغزاة اليابانيين
وحينذاك ظهر المغاورون في كوريا،
تحت راية المقاومة المقدسة.
يا جبل بايكدو!
في حناياك هبت العاصفة،
كزوبعة في البحر الشرقي،
ونظرت بغضب مستطير إلى الأعداء الألداء
القادمين من بلاد الجزر.

٤

أسموها كوت بون(١)،
لأنها...
جميلة كزهرة الربيع،
وبيضاء كمسحوق ناعم.
قضت طفولتها في قرية قرب هيسان.
وإذ عاشت في شعب سولغي، القرية المتوحدة،
لم تكن تعرف ما هي المدرسة،
وكل نصيبها من العلم
ما تلقته من أبيها في ليالي الشتاء.
وصارت الفتاة تستطيع أن تقرأ
الكتب الكورية المهلهلة.
وبدموع الكراهية، تلعن غاضبة
المعذبين – التجار،
الذين ألقوا بسيم تشونغ(٢) في غياهب البحر.
وكانت، إذ تجمع جذور الأعشاب في البرية،
تحلم بأن تقطع معها

---

(١) كوت بون - اسم نسائي، كوت - زهرة؛ بون - مسحوق.
(٢) سيم تشونغ - بطلة قصة من التراث الكلاسيكي الكوري.

رأس الوالي بيون هاك دو
الذي زج ذات يوم
بتشون هيانغ(١) في زنزانة السجن.
القصص المحزنة التي رواها الأب
تركت في نفس الفتاة أثرا لا يمحى،
وأفعمت قلبها حسرة وحزنا وألما.

٥

كانت في الليالي تفكر طويلا
في أمها التي قتلها اليابانيون عام "كيمي"
خلال إحدى حملات "التأديب" الهمجية.
فترتجف كل نأمة في روحها:
"كيف نثأر من الأعداء؟"

وفكرت في الشاب المجهول
الذي قطع لسانه بأسنانه في الزنزانة
حتى لا يشي برفاقه وهو نائم،
وحتى لا يئن على نطع الجلاد.
"أ لا ما أروع لو كان عندي أخ كهذا الشاب!"

---

(١) تشون هيانغ - بطلة قصة من التراث الكلاسيكي الكوري.

قالت كوت بون في نفسها متنهدة.

وفكرت في المرأة الفلاحة،
التي خبأت زوجها عن الجنود اليابانيين
في علية البيت.
وحينما
طعنوها بالحراب الوحشية
لم تئن، لأنها
خشيت أن يسمع زوجها ولا يحتمل
فينزل ويسلم نفسه.
تقسم كوت بون
على أن تكون مثلها ... وتبر بالقسم

٦

ليل نيسان/ أبريل يخيم على القرية الجبلية.
ينام الفلاحون،
ملتحفين الخرق الممزقة.
وسكنت جعجعة مطحنة الماء في ظلمة الليل،
جعجعة كئيبة تتمسك يائسة
بالماء المتدفق،
كرمز لقرية سولغي الجائعة.

في بيت واحد فقط
يأتي هذا الليل
حافلا بالنضال والحياة:
هناك، حيث تشول هو وكوت بون الصبية
يطبعان آخر المناشير.
غدا صباحا سيأخذها تشول هو معه.
وفجأة يسمع وقع خطوات ثقيلة.
فيصيخان السمع.
– أطفئا الضوء! –
إنه صوت كيم يون تشيل،
الذي يقف حارسا عند النافذة.
يتناول تشول هو المناشير والمطبعة.
ويصرخ في كوت بون: "افتحي الباب السري!"
ولكن فات الأوان –
البوليس صار قرب النافذة.
اللحظة تطول كألف سنة،
والأفكار تتطاير كالبرق.

٧

تقول له كوت بون بهدوء:
– عجل استلق مع أبي تحت اللحاف

ومعك المطبعة والمناشير.
– أ نائم أنت، يا شيخ؟ –
يصيح الياباني عند المدخل.

– من هناك؟ –
تسأل كوت بون بصوت ناعس
وهي ترد عليها الستار وتعجل بخلع ثيابها.
– آه، اعذرني، أنا عارية تماما...
سأضع شيئا علي في الحال
وأشعل الضوء.
– ويحي، انسكب الكاز!...
سكبته عمدا لكي تخفي الرائحة الخطرة... رائحة حبر المطبعة.
وتمر دقيقة...
الشرطي يرى شبح الفتاة نصف العارية
يلوح خلف النافذة.
– ادخل – قالت الفتاة بفتور،
وكأنها لا تزال تتهادى في أحضان أحلامها العذبة

٨

- يا لرائحة الكاز هنا!

ومن هذا؟

– إنه زوجي. –

– يا لك من فتاة جميلة!

– أ هكذا تنام باكرا وأنت لا زلت عريسا؟!

– ماذا تقول يا سيدي، الوقت متأخر...

– كفي ثرثرة وقولي للشيخ

أن يعرج صباح غد على المخفر!

وألقى الياباني نظرة أخرى على المكان،

وخرج صافقا الباب وراءه.

غطت كوت بون وجهها المضرج بحمرة الحياء،

وتشول هو، يجانبها نهب الانفعال.

– المعذرة...

وذهبت، محنية الرأس إلى المطبخ،

تاركة تشول هو وحده في الغرفة المظلمة.

"أية رفيقة ومكافحة كوت بون!" –

صاح قلب الفتى في الظلام،

وانحنى، في خياله،

أمام الرفيقة والصديقة...

أمام ابنة الوطن الباسلة.

تناول تشول هو المناشير وانسل خارجا في هدأة الليل.

الفصل الرابع

١

ألسنة النار تتراقص في الظلام.
ليلة دهماء هبطت على أدغال تشانغباي
ظلام كهذا يقلق الروح
ويلف الفكر بغلالة سوداء.
تارة تتأجج النار بسطوع
مطلقة شراقيط من الشرر،
وتارة أخرى تلتصق بالأرض من جديد،
كأنما تصارع الظلمة الحالكة
كذاك الاشتباك المستميت
الذي نشب على دروب بايكدو.
يا لهيب نار المغاورين!
حينما يجلس قربك الإنسان
ويمد يديه ليتدفأ بك،
يشعر في دمه برغبة في أن يحيا...
في أن يقاتل العدو وينتصر.
يا لهيب نار المغاورين!

طقطقتك المرحة خليقة بأن تبث الإيمان،
تحيي الأمل وتهيب إلى معمعان النضال.
يا نار المغاورين!
أنت للمغاور كموقده البيتي،
يسخن على لهيبك عشاءه الشحيح.
وكم يحلو له النوم في الليالي الباردة
على وقع هسيس الأغصان المحترقة فيك.
أيتها النار! لكم تحسنين الدعوة إلى اشتباكات جديدة!
أتاك المحاربون عبر طريق الموت،
وقد حطموا لتوهم فصيلة العدو "التأديبية".
يا نار المغاورين!
أنت عربون الانتصار،
أنت منارة في ظلام الليل،
تضيئين وتهدينا نبراس الأمل.

٢

فيما النعاس يدهم جفون الحراس،
يغط المغاورون في سبات عميق.
فمن المسيرات الطويلة تؤلمهم أرجلهم
وتؤلمهم جراحهم
... ولا زال الطريق أمامهم طويلا.

لليوم الرابع على التوالي لم يذق أحد منهم شيئا.
ومع ذلك، ها هم غارقون في نوم عميق...
نوم الراحة.
شخص واحد فقط
يجلس، متلفعا، عند النار،
لا يلاحظ كيف يمر الليل.
حين تنبسط أمامه آفاق المستقبل المشرقة،
وحين يمتلئ قلبه فرحا وغبطة،
في ليال كهذه يقرأ على الدوام.
يكتسب في مطالعاته القوة،
ويزداد الطريق إلى الهدف وضوحا.

حينما تهلل روحه تمتد يده إلى الكتاب.
وفي اللحظات القاتلة أيضا، حينما يثقل القلق روحه،
ويستولى اليأس على قلبه،
يفتح الكتاب في الكوخ.
يقرأ في الكتاب فيما يغلي في القدر
حزام جلد عوضا عن اللحم.
وحينما يتذكر فجأة
ذلك البيت المتداعي في مسقط رأسه،
الواقع عند سفح رابية يكسوها الصنوبر،
حيث أمضى طفولته التي لا يقوي على نسيانها،
يبحث عن عزاء له في الكتاب.

ويتراءى له فجأة
كيف تطهو أمه الحساء البسيط، متنهدة في المطبخ
بأسى،
فيأتي الكتاب لنجدته.

يفكر:
"نعم، ما زلنا قلة،
ما زلنا نعاني الجوع
ونهرق الدم.
ولكننا واثقون بأنفسنا،
وهذه الثقة تضيء لنا الطريق.
ليس الشعب الكوري وحده وراءنا.
وراءنا كل شعوب البلد الشمالي،
الذي شيدت فيه العدالة والحرية
حصنا منيعا،
وتسحقان العدوان والظلام".

ثم يفكر في أن الناس
الناس، الذين أرسلهم لجلب المؤن
سيعودون قريبا... عما قريب..
وربما أتت أيضا
أنباء من تشول هو
تلك التي ينتظرها على أحر من الجمر...

النار
التي صارعت الظلام الكثيف على امتداد الليل
انطفأت بغتة بعد معركة دامت طويلا.
رجل واحد فقط جالس بقرب النار
وبخفة يقف هاتفا.
"آه، الفجر الذهبي يبزغ في الشرق!"
الفجر يطلع على العالم في تؤدة،
رافعا معه خمار الضباب الليلي.

٣

عند الصباح جاءت مفرزة الطعام،
عاد الناس جالبين معهم
ثورين متربلين حصلا عليهما.. في مكان ما،
ثورين يفتحان شهية المغاورين
من لم يعرفوا حتى الآن سوى
حساء الحشائش والأعشاب
وفجأة عج المعسكر بالحركة.
هرع المحاربون دون انتظار الأوامر
يشعلون النار
ويشحذون السكاكين.
في تلك اللحظة بالذات يدخل القائد كيم.

يسألهم:
– من أين حصلتم
على هذين الثورين؟
– غنمهما المحاربون من اليابانيين
عند مخشبة الأشجار في وادي سانباك.
يرد آمر الفصيلة ويدعى سون سون.
فينظر القائد كيم إلى خطمي الثورين...
كانت تتدلى منهما زخارف ملونة
من المطرزات من صنع القرويات
ومن قطع النقود الصغيرة،
إنهما، دون شك، ليسا من ثيران اليابانيين.
– يا رفاق!
إني أسألكم:
متى تحول المغاورون
إلى نهابين لشعبهم؟
انظروا جميعا إلى خطمي هذين الثورين؛
اليابانيون لا يزينون الثيران هكذا
هذا الثور ملك لكوريين،
وهذا ملك لصينيين، أشقائنا في النضال.

هذا ما قاله القائد كيم للمقاتلين.
وكان واضحا أن هذا أمر منه
بإعادة الثورين

إلى الفلاحين – أصحابهما الشرعيين،
وبجمع الأعشاب من الغابة
وإعداد الفطور. منها– حساء من الأعشاب،
فتفرق المقاتلون في كل اتجاه لجمع الأعشاب.
والثوران السمينان يسيران إلى القرية عبر الربوة،
وهما يرعيان العشب في الطريق،
لا يدريان أي مصير ينتظرهما.

٤

اصطف المغاورون في حلقة.
في الوسط وقف القائد كيم صامتا.
ارتقاب العقاب يخيم على الصف كصقيع الخريف،
وأشعة الشمس تتغلغل في الغابة بوجل.

– أسألكم من قتل الثور؟
لا جواب، صمت مطبق،
سكون مطبق، أصم.
الصف بلا حراك...
– من ذبح الثور؟
انشق الصف بهدوء
وخرج منه المغاور تشاي سوك زون ممتقع الوجه.

ـ أنا المذنب أيها الرفيق القائد.
وارتعش الصف المشدوه على الفور:
أ من المعقول أن يحنث سوك زون، المحبوب من الجميع،
المشهور في الهجمات والاستطلاعات،
بالقسم ويعصي الأوامر؟!
يقف سوك زون جامدا ونظراته مسمرة إلى الأرض،
وجهه يزداد شحوبا،
وصوته المكبوت يرتجف:
ـ يا رفاق، أربعة أيام
ولم يأكل المقاتلون ولا القائد شيئا...

حينذاك تعالت من الصف أصوات تقول:
ـ يا للعار!
ـ دعك من كل هذه المبررات!
ـ أنت خالفت الأوامر،
صاح آمر الفصيلة سون سون
ـ إنه يساعد اليابانيين!
وقال سوك زون
بصوت أجش:
ـ أنا أساعد اليابانيين؟
ـ أنت تساعدهم.
ـ أنا أساعدهم؟
ـ نعم، أنت!!

– إذن... – وطق مغلاق البندقية بوقع جاف.
– أنا أستحق الموت إذن...
ووجه سبطانة البندقية
إلى صدره مباشرة.
– قف باستعداد! –
دوى صوت القائد...
كصوت صفيحة من حديد،
وطغى الإيعاز على كل الأصوات الأخرى.

٥

– أيها الرفاق!
– الماء يتبخر إذ يغلي في القدر
ولا يزاد...
هكذا بادرهم القائد كيم وأردف يقول:
فكما أن الجدول الصغير
إذ يتحد بجداول أخرى،
يصبح نهرا جبارا،
كذلك نحن، باتحادنا مع الشعب،
يجب أن نصبح نهرا وحتى بحرا.
قوتنا كلها هي في الصلة بالشعب،
جذورنا في الجماهير.

وقوتنا في الجماهير.
رابطة الدم بالجماهير هي مصدر قوة المغاورين.
فهل نسيت هذه الحقيقة؟
وإذا نحن نسينا هذه المقولة فكيف يمكن أن نصبح بحرا؟
القطيعة مع الشعب هي هلاكنا
الذي يتمناه لنا اليابانيون.
وإذا تجاهلنا هذه الحقيقة،
فكيف لنا أن نصبح بحرا؟
وهذا ما لم تفهمه، يا سوك زون!

عرفت الآن – همس سوك زون –
ذنبي وفداحة جريمتي...

تل العقاب ينتصب أمامه.
كيف سيمر إلى خلف هذا التل؟
(لعل العشب الذي يجمد في الصقيع
أكثر حياة منه.)
والمغاورون على يقين: لا عقاب له
سوى الإعدام.

صمت ثقيل قبيل هبوب العاصفة.
صمت.
سكينة القبور.

– هيا فتش عن صاحب الثور
وادفع له ثمنه!
القائد كيم
يسير ببطء إلى خيمته،
وتدفق الدم إلى وجه سوك زون.
وانتعش المغاورون
أطلت الشمس من وراء السحب.
وخفقت قلوب المغاورين بسرعة،
مفعمة بالحب الكبير للقائد كيم.

٦

إلى الجنوب الشرقي تحركت فصيلة المغاورين.
وبعد عشرة أيام على إقامة معسكر المغاورين
في الأدغال الجبلية.
بدأ الفلاحون يتقاطرون
إلى هنا...
من القرى القريبة ومن القرى البعيدة.
الكوريون والصينيون على حد سواء...
يتقاطرون، وكأنهم يتبارون،
ليساعدوا الفصيلة في كل شيء.

ومع ذلك، وطول كل هذه الأيام العشرة،
لم يستطع القائد أن يعرف النوم ولا مرة واحدة...
إلى أن جاءه في اليوم الحادي عشر
رجل بملابس عامل
يحمل تقريرا
وخارطة صغيرة من تشول هو.

ما إن شقشق الفجر فوق الجبال
حتى تحركت الفصيلة إلى الجنوب الشرقي.
أمامهم تنتصب جبال وصخور
ويمتد طريق جبلي طويل،
ولكن هل ثمة بين المغاورين من نطق،
ولو في سره، بكلمة "صعب"؟
أبدا.
فحتى في عز ليالي الشتاء القارسة،
حين تهلك الذئاب من الصقيع
ويجمد الطير إبان تحليقه،
قل لأي مغاور كان:
طريقك إلى الجنوب الشرقي.
وستجده يسلك هذا الطريق،
غير هياب من جوع أو صقيع،
بنفس وضاءة وقلب صريح.

يا طريق الوطن!
في المنام أو اليقظة، أنت
تستولي على أحلام المغاور!
وإذا لم يقيض له أن يقف حيا
على عتبة بيت والديه،
فلينل رفات المقاتل، الذي ضحى في سبيل الوطن،
السكينة في أرض الوطن على الأقل.

يا طريق الوطن!
يا طريق النضال الوعر!
أوصل المقاتلين إلى الجنوب الشرقي،
إلى هناك، حيث تمتد خلف نهر آمروك العظيم
أرض الأجداد المقدسة!

الفصل الخامس

١

توقف تبادل إطلاق النار...
ودوت الطلقة، المطاردة،
الأخيرة.

ركض تشول هو على المنحدرات الصخرية،
ركض على الطريق المجهول.
خفق قلبه بشدة،
وحلقه
كأنه محشو برماد ناري.

في غابة الليل انتصبت الأشجار العملاقة
جدارا تحت ألق القمر.
هنا توقف تشول هو، أخيرا.
يمدد الفتى الجريح
على طحلب أزرق يضيئه القمر،
وينادي عليه بصوت خافت: يونغ نام!

والفتى يرد عليه بأنين خافت فقط،
والدم لا يني يتدفق من سترته الممزقة.
– يونغ نام! هيا معي
إلى شعب سولغي... –

ولكن الفتى بلا حراك.
ومن جديد يرفع تشول هو رفيقه بحذر
كما ترفع الأم ابنها المريض.

٢

تعسا لها من ليلة!
ما إن عبرا نهر آمروك
حتى اصطدما بفصيلة متقدمة من اليابانيين.
تعسا لها من ليلة!
لا يعرف بهذا إلا تشول هو:
رفيقه قابع بلا حراك،
لم يسترد وعيه ولو للحظة خاطفة.
ها هو تشول هو في الشمال الشرقي.
هائم بين المنحدرات الصخرية في طريقه إلى سولغي
لينقذ يونغ نام.
والطريق الجبلي

كلما أوغل فيه زاد صعوبة وانحدارا.
وراءهما الجنود اليابانيون،
وأمامهما سديم الأخطار.

يا جوابي هذه الجبال الجبارة!
يا مجتازي الدروب الجرداء!
لا بد وأنكم تعرفون ما معنى طريق تشول هو.
فهبوا جميعا إلى نجدة المقاتل،
ولو في أفكاركم، خفية عنه.
امسحوا العرق عن جبينه وساعدوه
ليصل بحمله التعيس إلى سولغي.
طريقه الليلي غير مطروق.
ولكن هذا الطريق لن يلبث أن يصبح معروفا
للجميع...
وسيرتبط باسم ذاك البطل

٣

تشول هو لا يعرف كم اجتاز من الطريق،
ولا يعرف كم مر عليه من وقت.
فكرة واحدة تعتمل في قلبه:
أن يصل، أن يصل وينقذ الفتى.

وعند الفجر،
حينما وصل تقريبا
إلى سولغي المتوارية في بطن الجبل،
عاد يونغ نام
إلى وعيه.
كانت الكلمات الأولى
التي نطقها هامسا:
– يجب إيصال... التقرير... –
ثم
طلب ماء. وذهب تشول هو
إلى الجدول المتدفق إلى الأسفل، إلى الوهدة.
استلقى يونغ نام وحيدا على العشب الأخضر
تحت الصنوبرة العتيقة.
وبعينين متألقتين واسعتين
نظر إلى الغيوم في السماء الليلكية الزرقاء.
وفجأة نهض مكورا قبضتيه،
– النضال حتى النهاية!
– عاش استقلال كوريا!
هتف بصوت رنان.
ردده الصدى
من أعماق الجبال.
هكذا يدعو إلى الحياة والنضال،
نذير العاصفة الذي أصابه الأعداء.

وهو على الحجر،
مهيض الجناح.
هوى الفتى على العشب من جديد،
وسال من فمه خطان من الدم
امتزجا بالندى على أوراق الأعشاب،
وغشت عينيه غيمة ضبابية،
وحرك الهواء الأغصان بهدوء

٤

تحت صنوبرة عتيقة على تخوم الدغل
يحفر تشول هو قبرا للفتى.
من كان يعرف أن هذا الفتى المقدام
سيودع هنا إلى الأبد النضال والحياة.
كانت روحه صافية كالأنهار
المتدفقة على سفوح الجبال،
وكان قلبه مفعما بحب وطنه!

حفر تشول هو القبر... وسقطت
دمعة على الأرض الدكناء.
فلترقدوا بسلام أيها الرفاق
لسوف نثأر لكم من العدو حتما.

فكم ... وكم من المحاربين من البلد الحبيب قتلوا
قتلوا في معارك عاصفة وغير متكافئة؟!
هذا ليس بأول قبر.
فلكم استشهد الكثيرون
من أجل بزوغ فجر اليوم الجديد على الوطن
السليب من الغزاة!

وفي أية شعاب
وأية تلال،
تحت أية أشجار وحجار وصخور
تختفي القبور المجهولة؟!

يا حطاب هذه الجبال الشماء!
لتقطع جذوع الأشجار هنا بحذر...
فهي تصون في الغابة أرواح
المقاتلين الشهداء من أجل الوطن!

يا جوال هذه الجبال الشماء!
لا تمس الحجارة عند الطريق الجبلي...
فمن يدري، لربما كانت تحتها
عظام المقاتلين الشهداء من أجل الشعب!

٥

على المنحدرات الصخرية يمتد الدرب.
والدرب وراءه ضباب
يتماسك ويهمي عند قدمي
كوت بون الذاهبة إلى النبع لجلب الماء.

هنا، عند النبع، حجر ضارب إلى الحمرة،
حيث خبئت المطبعة
عن أنظار البوليس الياباني.
تسير كوت بون متمهلة
أفكارها كلها عنده...
عند ذاك المغاور الشاب:
– فأين هو الآن يا ترى؟
ترى لماذا الذكريات
تستحوذ على نفسها هكذا؟

٦

الأضاليا عند النبع تزهر فوق الحوافي...

وعلى صفحة الماء الفضية
تتناثر بتلاتها التي سقطت في الصباح.
تتناولها كوت بون بيدين خفيفتين،
تضع بتلة على الصخر
ثم بتلة أخرى...
قلبها في ازدهاء،
وانعكاس عينيها اللامعتين
يتألق على صفحة الماء الساطعة.

"أ حقا لن نلتقي!..
ولكن روحينا
قد تلتقيان يوما... –
واحمر وجهها ببطء.
حاولت أن تضع بتلة ثالثة،
فإذا بها تقف حيرى كمن يسأل نفسه:
– فيم أفكر؟
واستدارت،
كأن أحدا ناداها، فرأته...
إنه تشول هو!
– تشول هو، تشول هو!... –
واختلط في صوتها
الخوف والسعادة وكل شيء معا.
أفلتت بتلات الزهور

إلى الماء الفضي المتدفق
ورأت وجه تشول هو كئيبا، حزينا.

– ما بك؟
صباح اليوم قضي يونغ نام.
– يا للمصيبة!..
من الألم الحاد، ومن الفجيعة..
يكاد قلب كوت بون يتمزق.

وبعد ساعة، ذهب تشول هو ثانية...
ذهب ومعه كوت بون التي قالت لهم في سولغي
إنها ذاهبة إلى المدينة
لتبيع زهور
الأضاليا التي جمعاها
سوية عند النبع...
ولم يبقيا منها زهرة واحدة.

الفصل السادس

١

آمروك، أيها النهر العظيم،
هل تتألق أمواجك بعيدا
وتصب في البحر؟
ها هي شمس المغيب
تلقي بوشاحها القاتم عليه،
وتغطي الطوف الوحيد
الذي يعوم ببطء منسابا مع التيار.
ومن بيت صغير على الطوف يسمع
لحن أغنية حزينة:
"حديث ما يتبدد
كتبدد الدخان فوق نار المشعلة.
على النهر نجول
عازفين على المزمار،
تركنا الحقول
وخلفنا الديار.
نعوم على المياه الزرقاء

مسافات رحيبة،
من بلاد الآباء
إلى أرض الغربة..."

لماذا رنة الأغنية حزينة هكذا؟
ولكن هذا هو شأن الأغاني الشعبية
على أرض الآباء المعذبة.
وهل يمكن للأغاني أن تكون غير ذلك؟
حينما يبني اليابانيون من أشجار الصنوبر المعمرة
منازل رحبة لهم
يسكنونها، ويشربون الخمر...
في حين تبلي بيوت الفلاحين الكوريين،
متداعية مع كل سنة.
وتنتخر السطوح والأعمدة...

٢

حين حل الظلام وانتشر المساء البارد
فوق أمواج نهر آمروك،
سمع صفير طويل
على الضفة الصخرية الشمالية.
وعلى الفور

جاء الرد من البيت على الطوف
حيث اشتعل مصباح إشارة صغير.
وعام الطوف، مهتزا، إلى الشاطئ،
رأسه عند ضفة،
ومؤخرته عند ضفة،
وإذا به يستحيل جسرا يربط الضفتين
ونزل إلى الضفة شخصان–
النوتي والمغاور تشول هو.
وفي إثرهما، كظلهما، يتراكض المقاتلون
بسرعة وهدوء،
منزلقين بين الحجارة.
أيها الطوف البسيط على مياه نهر آمروك،
أنت الآن جسر إلى أرض الوطن،
جسر عائم يوصل
المقاتلين إلى أرض الوطن المنتظرة.
ويعوم الجسر
وتسمع في الظلام
كلمات خافتة لأغنية كورية:
"وإذا الأمواج قذفتنا
بعيدا عن الخلان،
فالمراكب ترجعنا
إلى شاطئ الأوطان..."

٣

ها هي الأرض الكورية
التي مزقها الأعداء الحاقدون شر ممزق،
حيث لا مكان للكوري حي،
وحيث لا مكان له بعد الممات.

اسأل مغاورينا
هل عبروا النهر منذ أمد بعيد
من تلك الضفة الكورية
ونزلوا،
كالمعدمين، إلى الضفة المجهولة
للأرض الغامرة الغريبة؟

حينذاك– من يتذكر؟– تنهد النسيم
كهؤلاء الذين عبروا النهر من هنا.
حينذاك – من يتذكر؟– تكسرت
أمواج نهر آمروك على الصخور،
وكان رذاذها أشبه ما يكون
بدموع الكوريين العابرين من هنا.

يا آمروك، أيها النهر العظيم!
اهدر اليوم واهدر،
رافعا أمواجك متلاطمة عاصفة
لكي يتردد صداها
في كل رحاب أرض الوطن!
لقد عاد اليوم أبناؤها من جديد،
أتوا من معاقلهم في جبال تشانغباي،
وأضاءوا الطريق أمامهم
بلهيب قلوب تعشق الحرية.

يا آمروك، أيها النهر العظيم!
ارفع أمواجك اليوم عاصفة مزمجرة...
اهدر بقوة أشد، لكي يتردد الصدى،
مبشرا الوطن العريق،
بأن أبناءه أتوا إلى هنا
ليشعلوا في الأرض الكورية
نار النضال التحرري.

٤

في الوادي بلدة جبلية...

انتصف فيها الليل منذ وقت طويل.
وسكان البلدة ذهبوا ليناموا...
مطفئين الأضواء في البيوت.
ومنذ وقت طويل أغلقت المخازن
التي يتناقشون فيها ويتاجرون،
محاولين أن يخدع بعضهم البعض على أفضل ما يكون.

حتى الحانات الليلية سكتت.
حتى النوافذ معتمة كبؤبؤ عين الأعمى.
واليابانيون الذين سكروا هناك
وزعقوا: "كوساتسي أوئيتوكو"(١)
فارقوا العاهرات اليابانيات وعادوا إلى البيوت.
وفي الضاحية،
في كوخ متداع،
حيث فقدت زوجة المراكبي المسكينة
زوجها اليوم صباحا،
توقف الندب... الأرملة نائمة الآن،
غابت في نوم ثقيل بلا أحلام،
وقربها نام أبناؤها
كشيوخ نحيلين.

---

(١) "كوساتسي أوئيتوكو" - أغنية يابانية مبتذلة.
كوساتسي - نبع حار في اليابان.
أوئيتوكو - مكان جيد.

٥

انتصف الليل منذ وقت طويل.
البلدة نائمة.
المصابيح وحدها تشتعل بنور باهت
وتضيء الشوارع الخرساء.
وعلى الطاولة في مخفر البوليس،
غفا المناوب قليلا،
إلى أن أيقظه صراخ امرأة
تدفع إلى الباب
رجلا ثملا رث الثياب،
تكاد قدماه لا تحملانه.
"ادخل يا سافل!"
صوت نسائي منزعج يسمع
"ها...ك...يف؟!"
صوت رجالي يرد عليها في تلعثم.
– ما الأمر؟– يقول الشرطي.
– لا يريد أن يدفع لي ثمن الخمر الذي شربه.
– ولماذا أدفع؟– يقول الرجل ضاحكا –
شيء مضحك، والله...
– لماذا تضحك؟–

يزعق به الشرطي المناوب،
– أو تعرف أمام من تضحك؟
سأعلمك، أيها الكلب الكوري،
كيف يكون الضحك هنا! –
ونهض المناوب،
كور قبضته واقترب من الرجل.
ولكنه سرعان ما تلقى ضربة على يافوخه
بعقب مسدس ثقيل،
وهوى على الأرض يشخر.

الامرأة– كوت بون–
تسرع إلى الهاتف
وتقطع السلك.
أما الرجل– العامل السري،
أشجع الشجعان،
فيفتح باب المخفر على مصراعيه
ويعطي إشارة ملوحا بالمصباح.
وعندئذ دوت طلقة في مكان قريب،
وأزت في أعقابها أخرى.
وإذا بالرصاص يلعلع...
في البريد، في البنك، في البلدية،
وفي مديرية قطع الأشجار.
والرشاش يشعل السماء الضبابية...

خط كثيف من الرصاص الخطاط.

٦

الأعداء يهربون،
يتساقطون تحت رخات الرصاص.
السجن يحترق،
السراي اليابانية تحترق،
بيوت اليابانيين تحترق،
بيوت خونة الشعب تحترق،
ويرتفع اللهيب عاليا إلى عنان السماء،
ملتهما كل ما كان يحجبه الليل في تلك البلدة.

لأول مرة في سنوات العبودية هذه
رن في الشوارع التي داسها الأعداء
صوت المقاومة الجبار...
دعوة وأملا.

في الشوارع، التي نهضت فجأة من سباتها؛
الرجال والنساء والأطفال يتراكضون،
وشيخ مكشوف الرأس
يركض مع الجميع إلى الساحة،

إلى هنا،
حيث الحشود التي يضيئها اللهب،
تضج وترقص هادرة كأمواج البحر.
وفجأة هدأ كل شيء.
القائد كيم يلج الساحة على رأس فصيلة،
رافعا بيده سيفا مسلولا
يعكس نصله وهج الحريق

– أيها الكوريون!
انظروا جميعا إلى النار
التي انهالت على الوحوش اليابانيين.
روح كوريا حية!
الشعب الكوري الخالد ما زال يخفق!
ليضطرم هذا اللهب أكثر فأكثر!
ليحرق الأعداء حتى الرماد!
وضجت في السماء الهتافات راعدة:
"مرحى! مرحى!"
اهتزت لها البيوت والشوارع.
وارتفع اللهيب عاليا إلى كبد السماء،
مخترقا سجف الليل فوق الأرض العريقة.

٧

على وقع أغنية ثورية،
غادر البلدة المغاورون الأشاوش،
من جلبوا إليها شعاع الأمل،
ثمة ضوء أرجواني ينيرهم
وحشود سكان البلدة تودعهم:
– مع السلامة، يا أبطالنا!
– رافقتكم السعادة، رافقكم النصر!
والدموع على الوجوه الصارمة الحبيبة
حمراء، كالدم، على ضوء اللهيب.
– ونحن، يا أصدقاء، نتمنى لكم السعادة!
– ناضلوا من أجل حرية الشعب!
وفي عيد التحرر الكفاحي،
لنلتق ثانية يا رفاق!

وينطلق المغاورون، شاقين الظلام،
في نسق عسكري متراصف،
بخطى منتظمة، بخطى واثقة،
متجهين إلى ساحات المعارك المقبلة.

الفصل السابع

١

الليل يقترب من منتصفه،
وعبر الشعاب والجبال والغابات
يصل المغاورون إلى نهر آمروك،
ليجتازوا تلك الأمواج من جديد.
ولكن مهما كان فراق الوطن شاقا،
فطريقهم الآن ليس طريق الإقصاء المر،
بل طريق الثأر والمجد والنضال.
وكأنما أدرك النهر هذا بقلبه،
فاستقبل أبناء كوريا
بالألق المرح لمياهه الزرقاء القاتمة.

يأتي الليل،
وتحت ستاره
يبني المغاورون الأطواف.
العمل يشرف على الانتهاء،
ولكن، فجأة، يلعلع من التلال البعيدة

دوى مدافع الميدان.
وإذا بمياه نهر آمروك تغلي
بفعل القنابل المتفجرة.
ويسمع من بعيد
أزيز الرشاشات الثقيلة.
تسرع،
تسرع القوات اليابانية
لدفع الكوريين إلى نهر آمروك
وتطويقهم وإبادتهم.
طوقونا! – خطرت له هذه الفكرة–
واندفع مقاتل إلى الماء!
وأعقبه آخر.
وفي اللحظة نفسها دوت طلقتان،
وصوت القائد كيم يقول: "اسمعوا أمري!"
خائنان فقط لم يسمعا الأمر...
ابتلعت الأمواج جثتيهما وغارت بهما في أحشاء الظلام.

٢

– شدوا حيلكم يا رفاق! – يصدر الأمر–
استمروا في العمل! –
القائد كيم

يعمل مع المقاتلين تحت وابل الرصاص،
وفصيلة تغطية صغيرة
تنطلق إلى الصخور بقيادة تشول هو.

ها هي الأطواف جاهزة، أخيرا،
وقوة المغاورين الرئيسية
تنتقل متسترة بضباب الليل
إلى الضفة الأخرى.
تدوي المدافع اليابانية
وتقذف حمما فولاذية،
كبراكين تنفث النار،
تتفجر في هدأة الليل.

عندئذ قفز مغاوران سوية
إلى آخر طوف:
تشول هو ومعه المقاتل سوك زون.
لكن انفجارا دوى، وهوى تشول هو
على حافة الطوف.
ـ ماذا أسمع؟
لماذا تظلم الدنيا في عيني؟
وغاب عن الوعي.

٣

إلى الخلف، على بعد عدة خطوات
يزعق اليابانيون من وسط السديم المضب.
صحا تشول هو
ورآهم.
كل قوى الحياة فيه ركزها في يده الجريحة.
مد يده،
وانتزع قنبلة يدوية من خلف حزامه
وقذف بها تجمع الأعداء مباشرة.

انفجار – ومئات الجرحى من اليابانيين.
تشول هو يتناول القنبلة اليدوية الأخيرة،
ويقذف بها
وينشطر الطوف قسمين.
هنا رأى تشول هو، من خلال الدخان الأسود
واللهيب،
كيف هوى سوك زون على ظهره
وسبطانة البندقية مكسورة في يديه.

يحاول تشول هو إنهاض رفيق السلاح،

ولكن سوك زون كان قد مات.
جثث اليابانيين أشلاء مبعثرة بجانبه..
يجمع تشول هو ما تبقى من قواه،
يقف محتضنا سوك زون إلى صدره.
يخطو عدة خطوات... ثم يسقط.
يعاود الوقوف كرة أخرى محتضنا رفيق السلاح،
ويتقدم خطوة فخطوة...
ولكنه يتوقف فجأة...
رصاصة معادية أصابته في قلبه
وسقط على الأرض،
سقط إلى الأبد
والماء الجياش المتلاطم
يواري المغاورين إلى الأبد.

٤

فقد العدو الأمل، فأوقف النار بغتة.
رست الأطواف على الضفة المقابلة.
وهنا سمع صراخ فتاة:
تشول هو، سوك زون!
كوت بون تنادي على رفيقيها:
"تشول هو! سوك زون!"

ودوى صوت القائد كيم
الذي لا تخطئه أذن.
لا جواب.
الأمواج وحدها تلطم الأطواف بغضب.
تشول هو! سوك زون! –
كوت بون تواصل نداءاتها باستماتة..
ولكن لا أحد يرد على صياح الفتاة.
وحدها أمواج آمروك تلطم الصخور في الظلام.

٥

على المنحدر الجبلي، عند صخرة،
تراصف المحاربون في نسق منتظم.
وفي النسق، يقف القائد نفسه
وسون سون وكوت بون وكل مقاتلي الفصيلة.
ولكن لا يقف في نسقهم المنتظم هذا لا تشول هو
ولا سوك زون.
بغضب ينظر المغاورون إلى أرض الوطن
المتلفعة بأستار الليل.
لا تزال تسمع من ذلك الجانب
الطلقات الخافتة لبنادق العدو
تئز بحقد عاجز.

– أيها الرفاق– قال القائد كيم
– يا أصدقائي!
شهورا وأعواما
خضنا النضال ضد العدو في الغربة.
ولكن في الليلة الماضية اخترقنا سوية
خط دفاع الحاميات اليابانية
وانتصرنا في أرض الوطن،
وأظهرنا للمواطنين الذين جفت دماؤهم
روح هذه البلاد حيث نعيش.
يا رفاق!
ما زال الأعداء أقوياء،
لذا، كان علينا
أن نعود ثانية إلى هنا عبر نهر آمروك
ونفقد رفيقين باسلين،
ونحن لا نعرف أين ترقد جثتاهما...

٦

– أيها الرفاق والأشقاء!
(الصوت الجهوري
أشبه ما يكون بفولاذ المعارك.)
مع أننا لم نحطم الليلة الماضية

سوى حامية يابانية صغيرة،
ولكن اللهب الذي استعر في تلك البلدة
سيشعل في حنايا كوريا المعذبة
نار المقاومة والنضال.
ومع أننا اضطررنا إلى التراجع بعد الهجوم،
فإنني واثق بأننا سنعود من جديد.
عاشت كوريا! وطننا الأم!
وإذ أقسم القائد كيم هكذا على الإخلاص للوطن،
تناول السيف ورفع نصله إلى الأعلى.
وهنا ارتفعت غابة من البنادق فوق رؤوس المغاورين.
وتعالت أصواتهم في سيل هادر واحد:
– سنعود، يا كوريا!
طالما الشعب حي، فلن يحطمنا العدو!
لسنا وحيدين أبدا في نضالنا.
فإلى جانبنا بلاد السوفييت،
أمل الأمم المضطهدة الذي
يفتح صفحة جديدة في تاريخ الأرض.
سينال سيف الانتقام اليابانيين،
وسنكنس كل القذارة من بلدنا الحبيب!
سيكون حب الوطن ملهمنا
وسنؤجج عاليا لهيب الحرب التحررية!
أيها المغاورون! أطلقوا صلية واحدة
من أجل الانتصار في المعركة الدامية!

أيها المغاورون! أطلقوا صلية واحدة!
الخلود للأبطال الذين استشهدوا في النضال المقدس!
كوريا! من أجل تحررك واستقلالك،
من أجل الديمقراطية والسعادة!
ودوت طلقات التحية فوق الرؤوس...
وترجعت أصداؤها على امتداد ثلاثة آلاف ري.

الخاتمة

يا بايكدو، أيها الجبل المقدس،
بيديك تقبض على سلاسل الجبال،
وكأنها شعاع مروحة.
بعرفك الأشيب تلوح
عاليا فوق السحاب،
وترى بوضوح منذ مئات ألوف السنين
كل ما يترامى عند قدميك.
قل، في هذه الساعة، حينما انبثق الفجر
وخيم السديم الصباحي
على الحوض الأزرق لبحيرة السماوات،ــ
يا بايكدو، أيها الجبل المقدس،
قل، من قابلت عند الشروق؟

ويجيبنا جبل بايكدو العريق،
ملوحا بعرفه الناصع البياض:
ــ اسمعوا ما أقول.

كان الفجر ينبلج بوداعة فوق أرضنا،
وإذا بالزبد يعصف بنهر دومان
بفعل الطلقات المتساقطة،
وصب المغاورون من جروف الجبال
إعصارا ناريا على اليابانيين.
عندها لفعني دخان المعارك،
وعاد إلي شبابي، أنا الشيخ الأشيب،
الشمس المنكسفة على هذه الأرض
عادت إلى الشروق من جديد.
الأشعة الساطعة تملأ رأسي،
وتعمر قلبي فرحة غامرة.
قابلت الجيش السوفييتي الذي صد
العدوان شرقا وغربا
وجلب لنا النور البهي
عبر دخان القذائف.
إذ قابلت القائد كيم،
ابني المحبوب،
الذي انتظره شعب كوريا طويلا،
انتظره،
وكأنه ضمير وإرادة وأمل
ومجد وطنه العريق.
قابلت أولادي:
سون سون وكوت بون،

ورأيت عند سفحي،
كيف بكى الناس بدموع السعادة
ومنحوني حياة أبدية،
إذ أعلنوا تحررهم.

– قل، إذن، يا جبل بايكدو، يا جبل كوريا العظيم،
ماذا ترى اليوم عند الشروق؟
من ترى اليوم عند الشروق؟
أجابنا أمير الجبال،
ملوحا بعرفه الناصع البياض:
– أرى اليوم العمل الحر
لشعب كوريا الحرة...
أرى مداخن المصانع تنفث الدخان،
أرى حقولا يملكها الفلاحون...
ينضج فيها محصول لم يعهد لوفرته نظير.
أرى شمالي كوريا الديمقراطي
وقد دخل مدار التاريخ،
وبأجنحته المصطفقة يقفز إلى الأمام قفزا.
وأرى اليوم الشعب يرسى مداميك الاستقلال.
وأخيرا، أرى القائد كيم–
رئيس الجبهة الديمقراطية،
وأرى اليد السوفييتية ممدودة إلينا بكل دفء الصداقة.

أنظر اليوم إلى ربوة موران،
يخيل إلي أنني أرى في وطني الحبيب
ملايين المواطنين الأحرار
وقد رصهم في كتلة واحدة حلم مشترك
بمستقبل كوريا الديمقراطية.
وأرى لوحة مغايرة عند سفح جبل سامغاك(١) –
هناك تستشري الرجعية، ويسفر الإرهاب عن وجهه
بكل عريه الدنيء.
ولكن صوت الجبهة الديمقراطية أبدا يعلو بقوة متزايدة
وتزهو بخضرة منعشة غابة الصنوبر في نامسان.

هذا ما يقوله جبل بايكدو العظيم.
ولكنه، إذ ينظر إلى جنوبي كوريا الحبيب،
يرتجف بغيظ محتدم،
ويتناول قبض ريح من قمته الجليدية
ويقذفه مباشرة نحو بحيرة السماوات،
فترفع البحيرة إلى الأعالي
وتسقط على الصخور،
ويرج الهزيم محور الأرض.
ثم يلوح جبل بايكدو بعرفه الأشيب،

---

(١) سامغاك - جبل إلى الشمال من مدينة سيول.

ناظرا إلى الشمال، إلى الأورال.
ومن ثم يتوجه بأنظاره إلى جبال
كوينلون(١)، إلى هضبة الهملايا –
إلى حيث تبني الصين حياتها الجديدة.
وبغضب جاهم ينظر عبر المضيق...
إلى حيث يربض جبل فوجي(٢)
– اسمعوني جيدا أنتم هناك!
هنا تبنى كوريا الجديدة،
ولن تستطيع قوات الغزاة
أن تحول دون بنائها.
ستكون صلبة...
ستكون راسخة كصخور بايكدو،
شامخة كذرى بايكدو
ومضيئة كبحيرة السماوات!

– عام ١٩٤٧

---

(١) كوينلون - سلسلة جبال في الصين.
(٢) فوجي - جبل في اليابان.

رقم: ٠٠٨١٥٣



بيونغ يانغ ٠ كوريا

١٩٩٠





